الباب السابع

حقوق المرأة في الإسلام

الفصل الأول : المرأة في الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .

الفصل الثاني : مبادىء حقوق المرأة في الإسلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المرأة في الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .
- قال رسول الله ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم» .
- يقول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود : « شرع الدين الإسلامي للنساء حقوقاً يتمتعن بها لا توجد حتى الآن في قوانين أرقى الأمم المتمدنة » .
- يقول المفكر الفرنسي مارسيل بوازار M. Poizar : « أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية حمى حقوق المرأة التي لا تكل » .

المرأة في الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

يأتي الحديث عن حقوق المرأة في هذا الباب من الموسوعة من بعده الإسلامي والإنساني الذي لا تسقط معه تلك الحقوق مهما رغب الراغبون أو كره الكارهون، فحقوق المرأة في الإسلام لا تجحد لأي سبب كان فهي حقوقه ثابتة لا يملك أحد أن ينتقصها مثلما تنص عليه المادة الثامنة، الفقرة الثانية من الاتفاقية الخاصة بشأن الحقوق السياسية للمرأة التي اعتمد بدء نفاذها من الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة يوم ١٩٥٤/٧/٧م، استناداً إلى القرار رقم ٦٤٠ د ـ ٧ في ١٩٥٢/١٢/٢٠م ونصت تلك الفقرة على أنه : «يبطل نفاذ هذه الاتفاقية اعتباراً من التاريخ الذي يبدأ فيه مفعول الانسحاب الذي يهبط بعدد الأطراف فيها إلى أقل من ستة».

إن حقوق المرأة في الإسلام لا تتغير ولا تسقط بتبدل الزمان أو المكان أو الأحوال أو الظروف، لأن حقوق المرأة في الإسلام وما جاء في الشريعة الإسلامية إنما هو تقرير لتشريع إلهي أوجبه الله لها منذ اللحظة التي خلقها الله تعالى من نفس آدم عليه السلام،والإسلام قرر حقوق المرأة منذ أن صدع النبي محمد ﷺ بالرسالة منذ آلاف السنين، أي قبل عام المرأة الذي حدد منذ عام ١٩٧٥م أي قبل بضعة عقود لا تزيد عن خمسين عاماً. ولم تكن حقوق المرأة في الإسلام وليدة الظروف ونتيجة الشقاء الذي تعرضت له المرأة عبر التاريخ مما ذكر في ديباجة اتفاقية الرضا بالزواج التي بدء النفاذ بها منذ ١٩٦٤/١٢/٩م استناداً إلى قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة رقم ١٧٦٣ أ د ـ٧ في ١٩٦٢/١١/٧م وفيها : «إن بعض الأعراف والقوانين والعادات القديمة المتصلة بالزواج والأسرة تتنافى مع المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، وبيان حقوق المرأة في الإسلام ينطلق من أصل التكريم الإلهي لها في صورة كرامتها وعفتها وإنسانيتها بعيداً عن الامتهان، ذلك الأمر الذي استدعى إيضاحه

في اتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير التي بدء النفاذ بها يوم ١٩٥١/٧/٢٥م استناداً إلى قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة رقم ٣١٧ د ـ٤ في ١٩٤٩/١٢/٢م لحماية للمرأة وصيانة لكرامتها وعفتها.

والحديث في هذا الباب ينصب بمجمله على حقوق المرأة في الإسلام مع مقارنات موجزة عن حقوقها في الثقافات الأخرى مع بيان لآراء الكتاب والمفكرين الغربيين الذين عرفوا ما وصلت إليه حال المرأة غير المسلمة وضياع حقوقها إذا ما قورنت بوضع المرأة المسلمة وحقوقها في الإسلام. وما الحديث عن امتهان المرأة وبيان ما يتاجر في عرضها من خلال الدعارة مما ورد ذكره في بعض المواثيق والصكوك الدولية لهو كاف عن مزيد تفصيل وبيان مما تصدره مراكز دراسات المرأة في بعض دول العالم، والخلاصة فإن ما يرد عن المرأة غير المسلمة في ثنايا هذا المبحث ليس إلا لتوضيح المفارقة وتحقيق صورة المقارنة في سعي إلى مشاركة الحضارة الإسلامية وشريعة الإسلام بإنسانيتها ضمن المبادئ الحقوقية الدولية، ولهذا رأينا أن نخصص مبحثاً موجزاً عن المرأة في الحضارات الأخرى والحضارة الإسلامية مثلما فعل المستشرق الفرنسي إميل درمنغم عندما تحدث عن حقوق المرأة في الإسلام وغيره من الشرائع فقال : «مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسّن حالها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «ما فتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى في أمرهن موحياً بيناً لهن»، وقال النبي ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**»، أجل، إن النبي ﷺ أوصى الزوجات بطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق، ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية، فأنزلت الآية التي تورث النساء، وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد ﷺ عن زواج المتعة وحَمْلَ الإماء على البغاء، وأباح تعدد الزوجات، ولم يوص الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات

فيهب لإحداهن إبرة دون الأخرى، وأباح الطلاق أيضاً مع قوله : «**أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق**». وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنة في النصرانية فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وأيهما أفضل : تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟ إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر»[1]، ولعل المناسبة تستدعي قبل الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام والحضارات الأخرى أن نحدد بعض المفاهيم الاصطلاحية والعبارات اللغوية عن الاختلاف والمساواة والمثلية .. إلخ .

الرجل والمرأة : الاختلاف والمساواة

إنطلق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بقواعد عامة لحفظ حقوق الإنسان، ثم تفرعت عن هذا الإعلان العديد من الصكوك الدولية المنبثقة عن منظمات مختلفة تتبع هيئة الأمم المتحدة، فكان من ذلك إعداد اتفاقية عن حقوق الطفل، وأخرى عن المرأة، وثالثة عن حق تقرير المصير، ورابعة عن مناهضة التمييز العنصري.. إلخ، ولم نجد في تلك الصكوك عهداً يخص الرجل كما كان للمرأة اتفاقية. أليس هو الآخر إنسانًا له حقوق؟ فلما خصت المرأة دون الرجل ببيان حقوقها؟ صدق الله العظيم في قوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[2]، روى عبد الرزاق أن هذه الآية نزلت في قول النساء: « **ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل** »، وقول أم سلمة رضي الله عنها: « **يا رسول الله لا نقاتل فنستشهد ولا نقطع الميراث**» [3]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله للذكر مثل**

حظ الأنثين وشهادة امرأتين برجل»[٤] ، في الآية والأحاديث السابقة تظهر حكمة الله في شرعه ونرى حرية المرأة التي أبانت القول بأنها تتمنى أن تكون مثل الرجل لتجاهد، والإسلام في هذا الجانب يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف والأنصبة فالرجل رجل، والمرأة امرأة ولكل خصائصه، وهذا لا يعني عدم المساواة في الخلقة البشرية أو عدم التكريم من حيث أصل الخلق أو عدم الحرية، ولكن لكلٍ نصيب لحساب الإنسانية لتحقيق حياة الناس وحفظ الحقوق بتوازن تنتظم به حياة البشر مشاركة بين رجل وامرأة ، كل يكمل الآخر، فلا غنى لرجل عن امرأة والعكس صحيح، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

إننا في هذا المقام نكتفي بتلخيص جزء ما جاء في كتاب للطبيبة النفسانية الألمانية استير فيلار صاحبة كتابي: (الرجل المروَّض) و (الجنس المتعدد للأزواج)، اللذين انتصرت فيهما للرجل المضطهد من قبل المرأة، كما طالبت فيهما بأن يكون للرجل أكثر من امرأة واحدة، أي أنها أيدت المبدأ الإسلامي المتمثل في إباحة تعدد الزوجات، وفي ذلك تحدثت عن قرار هيئة الأمم المتحدة بجعلها عام ١٩٧٥م عاماً للمرأة، فتقول: «إن وضع النساء في الدول الصناعية الغربية لا يختلف عن وضع الرجل إطلاقاً، إن لم يكن أفضل منه، بل هو فعلاً أفضل منه، لأن الجنس الخشن ـ أي الرجال ـ وليس الجنس اللطيف هو الذي هضمت حقوقه، فإذا كان هناك من يستحق أن تقام له ذكرى سنوية، أو عام دولي فهو الرجل لا المرأة، ذلك أن المرأة لاختصاصها بإنجاب الأطفال خلق ذلك لها أوضاعاً وامتيازات ليست للرجل ، فالأبناء والبنات منذ الطفولة يتلقون التربية والتوجيه من النساء، سواء أكُنَّ أمهاتهن أو مربياتهن في المدارس الخاصة. وبذلك تكون المرأة هي المحددة لمقاييس المجتمع مستقبلاً ودائماً. والرجال هم الذين يقومون بالإنفاق على زوجاتهم وأولادهم، ويحملون هم العمل والكسب. ونسبة النساء في هذا المجال قليلة وضئيلة جداً. والرجال أيضاً هم المكافحون من أجل المعيشة وضمان مستقبل الأسرة والأولاد، أعمارهم أقصر من نسائهم

بمقدار ست سنوات. كما أن نسبة الانتحار بين النساء على نصف ما هي عليه عند الرجال. إن المرأة هي التي تحدد وجهة الاقتصاد في مجتمعها، لأنها هي التي تقر معظم مشتريات الأسرة والبيت، من طعام ولباس وأثاث، ولا يشترك معها الرجل في ذلك إلا نادراً عندما تحتاج إلى شيء من خبرته ومعرفته، والسبب نفسه، أي لأنها المستهلكة الكبيرة، ولأن برامج الإذاعة والتلفاز تمول من الدعاية للسلع الاستهلاكية فإن المرأة في حمى منيع من انتقاد وسائل الإعلام والدعاية»[٥].

لئن كان صوت المناداة بتحرير المرأة من أغلالٍ فرضتها العادات والتقاليد لكي تتساوى مع الرجل ، فذاك لم يكن هدفاً في حدّ ذاته بل كان وسيلة لتحقيق العديد من الأهداف، وهذا ما أوضحته استيرفيلار بقولها : «ورغم تساوي الفرص التعليمية والثقافية أمام الرجال والنساء، ورغم أن ٨٠٪ من الأطفال لا ترضعهم ولا تحتضنهم أمهاتهم، فإن النساء لا يقمن بالعمل من أجل مساعدة الرجال على إعاشة أولادهما، وإنما تشتغل المرأة المتزوجة لكي تكسب لنفسها بعض المال أو دفعاً للضجر ورغبة في الاجتماع بالرجال، وهذا ليس مثل ما هو معلوم من سلوك المرأة الشرقية وخصوصاً المسلمة. ثم إن عملها محدود دائماً بوقت معين، وإجازتها أطول وأكثر بسبب الحمل والوضع من اجازات الرجل، رغم أنهن يعشن أطول عمراً منه بمعدل ست سنوات، فالنساء يتقاعدن قبل الرجال بخمس سنين، وهذه مزية أخرى للمرأة، أنها غير ملزمة بالخدمة العسكرية إلا نادراً ، ولا ترسل إلى ميادين القتال جبراً»[٦]. وقد يظن أن كلام استير فيلار هو دعوة لغمط حقوق المرأة في المساواة في العمل والحقوق السياسية، إن الأمر عكس ذلك ففي كلامها تنبيه لها على صون كرامتها وعفتها ورعاية بيتها وأسرتها وتقديم الأهم على المهم بعدم الإخلال بالأهم على حساب المهم، أي ترك الواجبات وتفعيل النوافل. لقد أدرك كثير من كتاب الغرب الحق وعرف الحقيقة في صون كرامة المرأة كما جاء في كلام استير فيلار، فهذا المستشرق الفرنسي جاك ريسلر يقول : «لقد وضعت المرأة

في الإسلام على قدم المساواة مع الرجل في القضايا الخاصة بالمصلحة فأصبح في استطاعتها أن ترث وأن تورث، وأن تشتغل بمهنة مشروعة لكن مكانها الصحيح هو البيت، كما أن مهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً، وعلى ذلك رسم لها النبي ﷺ واجبها فقال : **«أيما امرأة مات زوجها وهو راض عنها دخلت الجنة»** ، وفي الحق أن تعدد الزوجات بتقييده الانزلاق وراء الشهوات الجامحة، قد حقق بهذا التشريع الإسلامي تماسك الأسرة، وفيه ما يسوّغ عقوبة الزوج الزاني[٧].

وفي ثنايا ما كتبته تُوجِّهْ استير فيلار نداءً إلى بنات جنسها من النساء تدعوهن فيه إلى الكف عن المظاهرات والمسيرات وحمل المشعل باسم تحرير المرأة، وعن حفلات الفن النسائي، والفضائح الجنسية، واحراق حاملات الصور، لئلا يجعلن المرأة موضع السخرية ومثار الاستهزاء، فهن بما يفعلن يضعن أنفسهن في مصاف المرضى والعجزة والأطفال. هذه خلاصة لآراء استير فيلار عن المرأة الحديثة في الحضارة الغربية، وأنها أسعد حظاً من الرجل، ومع ذلك ترتفع الأصوات هناك بطلب المزيد لها من الحرية والمساواة، ولنا في هذا المقام مطالعة عميقة ومتابعة عريضة للأفكار والآراء المستنيرة التي ضمنها الأستاذ أحمد محمد جمال ـ يرحمه الله ـ في كتابه القيِّم عن المرأة بعنوان: (مكانك تحمدي)، وسوف يكون ركيزةً أساسية خلال حديثنا في هذا الموضوع وهذا الباب من الموسوعة .

لعل حركة تحرير المرأة في بعض الدول العربية والإسلامية نحت منحاً لا يتناقض مع أصل فطرة المرأة فحسب، بل يتنافى مع أصول وقواعد الشرع الإسلامي، ذلك الاتجاه الذي تزعمه قاسم أمين وأتباعه، أولئك النفر الذين أرادوا إخراج المرأة باسم التحرير إلى غير ما أراده الله بحكمه وقرره في شرعه والذين تحدث عنهم الاستاذ أحمد محمد جمال بقوله: «لقد انبرى للدفاع عن حقوق المرأة الكثير ممتطين صهوة جواد زائف نحو هدف باطل، وراح القوم يلوكون ألسنتهم بهرطقات وهراء وهوى ملؤوا به وسائل الإعلام ضجيجاً وزعيقاً ونهيقاً،

فارتفعت أصوات الباطل وأنكر الأصوات بالقول بأنهم أصدقاء المرأة، وأنهم المحامون عنها والمدافعون عن حقوقها فماذا يريد هؤلاء المدافعون عن المرأة؟، إن ما يريده الخارجون على قانون الطبيعة، المفسدون لنظام الفطرة، أن تكون المرأة رجلاً باسم المساواة بين الجنسين، وبدعوى افتقارها للحرية والكرامة في ظل سيطرة الرجل عليها. وهم في الواقع لا يبتغون من وراء ذلك إلا أن تخرج من حماها المنيع، وأن تنزل من عرشها الرفيع، وتنسلخ من فطرتها الرقيقة إلى ميدانهم الصاخب، لتتطبع بطبعهم، وتعمل عملهم، وتلهو لهوهم، وتنساق انسياقهم في التلذذ والتهتك والانحلال. إنهم يريدونها ـ باختصار ـ سلعة ومتعة، يضعون صورها في إعلانات السينما، وأدوات الزينة والغسيل، والعطور والمستحضرات الطبية، وعلى أغلفة الكتب والمجلات، ودعاية الأفلام والمسرحيات، والدعاية التجارية.. إلخ، ويوظفونها في مكاتب التجارة والسياحة لتجذب الزبائن كما تجذب اللصاقة الذباب. فهم يهيئونها ويزعمون كذباً أنهم يكرمونها، وشتان بين ما يريده الإسلام وما يريده هؤلاء الخارجون على نظام الفطرة وخصائص الطبيعة الإنسانية والبشرية»[٨].

إن المرأة اليوم هي الشغل الشاغل للصحافة والإذاعات والأندية والمؤتمرات في العالم ودوله كله شرقية وغربية، حتى زعموا أن عام ١٩٧٥م هو عام المرأة تذكيراً بشأنها، وبحثاً في حقوقها وواجباتها، وسعياً لإنصافها من ظلامتها، ويجب ألا نعجب من هذا الاهتمام العالمي بالمرأة لسببين :

الأول : أنها في الحضارة الحديثة قد أخرجوها عن فطرتها الخاصة، وأشركوها في متاعب العيش ومشاق العمل مع الرجل على سواء.

والثاني : وهو أمر يتعلق بنا نحن المسلمين ونساءنا أكثر من غيرنا، إنهم يريدون إخراج المرأة المسلمة عن طريق الحق باسم الحق، إنهم يريدون الاعتداء على والدتي ووالدتك، وأختي وأختك، وزوجتي وزوجتك، وابنتي وابنتك، وأي عاقل فاضل لا يهتم بماضي هؤلاء النسوة العزيزات الحبيبات وحاضرهن ومستقبلهن؟ وفي

الأمثال المأثورة عن الحكماء: (المرأة الجميلة دمية، والمرأة المتعلمة فاكهة، والمرأة الفاضلة غذاء)، ولننظر إلى المرأة كما هو حالها وحقوقها عند غيرنا وحقوقها وحالها في ظل الشريعة الإسلامية.

مكانة المرأة عند غير المسلمين

لعلنا عندما نتحدث عن المرأة وحقوقها في هذا الفصل فإن أموراً كثيرة ستجرنا للبيان والتوضيح مما يجعل هذا الباب في هذه الدراسة أطول من غيره من الأبواب، ولكن حاجة البحث، ومتطلبات المناقشة والعرض تستدعي ذلك كله لأهمية الموضوع وتفصيلاته . وفي هذا المقام سوف نقتبس ونستشهد بكلام الدكتور صالح بن حميد وحديثه عن المرأة عند غير المسلمين، فالمرأة عند الكتابيين كما في ديانتهم أنها شيء نكر، فقد هضموها حقوقها، لأنها مصدر الخطيئة في الأرض، وسلبت حقها في الملكية والمسؤولية، فعاشت بينهم في إهانة وإذلال واحتقار، واعتبروها مخلوقاً نجساً، وما الزواج عندهم إلا صفقة مبايعة تنتقل فيه المرأة لتكون إحدى ممتلكات الزواج، وحتى انعقدت بعض مجامعهم لتنظر في حقيقة المرأة وروحها هل هي من البشر أو لا؟ بل لعل الجاهلية العربية الأولى كانت أخف وطأة على المرأة من هذه النظرة اليهودية والنصرانية المنسوبة إلى تعاليم السماء ـ معاذ الله، ومن هنا يأتي عجبنا من النصارى واليهود ليسألوا عن المرأة في الإسلام وموقعها من تشريعه ومجتمعه، والدعوة إلى الحديث عما يخص المرأة في الصكوك الدولية وتوصيات المؤتمرات على المرأة المسلمة.

إن الباحث عن مكانة المرأة لدى الشعوب القديمة، سيجد أن شرائع تلك الأمم قد أهدرت مكانة المرأة وغمطتها كثيراً من حقوقها التي تمتعت بها المرأة في الإسلام، فقد أعدمتها أهليتها الكاملة في الالتزام، والتصرف، والوجوب والأداء، فلم يعد لها أي حق إنساني، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو قانوني، وحتى أن بعض

تلك الشرائع قد أباحت التخلص من الإناث[٩]. فقد عدَّها كونفوشيوس متاعاً تباع وتشترى فالأب إذا بُشر بالبنت حملها فوراً إلى السوق لبيعها بأبخس الأثمان، فإن لم يجد الشاري وهبها لأول عابر سبيل، حتى إنه كان في سنة ١٩٣٧م، في الصين ثلاثة ملايين أمة، وكان من حق الزوج أن يطلب من زوجته ألا تتزوج بعده وأن تحرق نفسها عند موته تكريماً له، وظلت حوادث حرق الزوجات تقع في الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر، وكذا الأمر عند اليابانيين، الذين منحوا الأب حق بيعها ـ البنت ـ في سوق النخاسة أو الدعارة[١٠].

وقد كانت الزوجة عند الهنود حتى القرن التاسع عشر تُحرق إذا مات زوجها، حسبما تقضي بذلك شرائعهم، وفي بلاد فارس لم يكن للمرأة حق اختيار الزوج، وللزوج أن يتنازل عن زوجته، أو إحدى محارمه لرجل آخر وقع في الفقر بغير قصد منه لستعين بعملها، وذلك من قبيل الإحسان على أخ محتاج[١١]. وعند البابليين والآشوريين في العراق كان يحكم على المرأة بالموت غرقاً إذا أقدمت على الطلاق وثبت أمام القاضي أنها زوجة مشاكسة، رغم مساواة القانون بين الرجل والمرأة عندهم في بعض الحقوق المدنية، والقانونية، والاجتماعية من إجراء العقود وأداء الشهادة، وتوريثها كالرجل إستناداً إلى بعض قوانين حمورابي[١٢]. وفي العصر الفرعوني كانت حقوق المرأة عموماً تضطرب مع اضطراب الدولة، وتعود إليها حقوقها مع عودة الاستقرار إليها.

وعند اليونانيين حرمت المرأة من حقوقها الاجتماعية، والقانونية والإنسانية، حيث كان يتم بيعها وشراؤها في الأسواق باعتبارها من سقط المتاع، وقد كانت محرومة من الثقافة، وقد صاغ سقراط قاعدة لذلك هي أن: «للرجال السياسة، وللنساء البيت»[١٣]، كذلك كتب سقراط يقول : «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة، ظاهرها جميل، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً»[١٤]، وفي أوج حضارة اليونان وبداية انهيارها

وزوالها، تبذلت المرأة فاختلطت بالرجال في أنديتهم ومجتمعاتهم بعلاقات آثمة، فأصبح الزنا أمراً غير منكر، وغدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب[١٥].

وفي اسبارطة منحت المرأة شيئاً من الحقوق المدنية كحق الإرث، وأهلية التعامل نتيجة لضرورة الحرب التي كان وقودها الرجال، وقد كان أرسطو يعيب على أهل اسبارطة هذه الحرية والحقوق، التي أعطوها للمرأة، ويعزو سقوطها وانحلالها إلى هذه الحرية والحقوق التي منحت لها، وأما مكانة المرأة عند الرومان فقد كانت معدومة الأهلية لاعتبار (الأنوثة)، فشرائع الجمهورية تفترض أنها «لا حق لها في نفسها»، ويقول جايوس في ذلك : «توجب عاداتنا على النساء الرشيدات أنفسهن أن يبقين تحت الوصاية لخفة عقولهن»[١٦]، وليس أدل على مدى انحطاط مكانة المرأة الرومانية، وهدر كرامتها الإنسانية، أكثر مما جرى في الاجتماع الذي عقد في روما «للبحث في شؤون المرأة»، فقرر أنها «كائن لا نفس له، وأنها لن ترث الحياة الأخروية، وأنها رجس، ويجب ألا تأكل اللحم، وعليها أن تمضي جميع أوقاتها في الخدمة والخضوع»[١٧].

وأما مكانة المرأة عند اليهود فقد جعلوا البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في بيعها وهي قاصر أو يزوجها لمن يشاء دون رغبة منها[١٨]، وفي سفر التكوين، فقال آدم : «المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة فأكلت»، ولهذا فإن المرأة ملعونة لتسببها في إغواء آدم وإخراجه من الجنة، كما أنها لم تكن تتمتع بأي حق من الميراث والتملك واختيار الزوج[١٩].

أما مكانة المرأة عند المسحيين فهي عندهم تحمل لعنة أمها العليا حواء إلى يوم القيامة، ومن نصوصهم الدينية المحذرة منها: ما قاله القديس ترنوليان عنها : «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله»[٢٠]. ويقول سان بونافنتور لتلاميذه : «إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً ولا كائناً وحشياً، وإنما

الذي ترونه هو الشيطان بذاته، والذي تسمعه هو فحيح الأفعى»[٢١]، ولقد جاء الإنجيل خالياً من أي نصوص تنظم الحياة الاجتماعية في العلاقة بين الرجل والمرأة ولذا يعتمد أتباعه على العهد القديم لأنه من الكتاب المقدس، وهو يشتمل على التوراة[٢٢].

وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع مجمع «ماكون» للبحث في مسألة المرأة هل هي مجرد جسد لا روح فيه أم لا؟، وبعد البحث قرر المجمع أنها خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم، ما عدا السيدة العذراء (أم المسيح)، عليهما السلام، وفي عام ٥٨٦ ميلادية عقد الفرنسيون مؤتمراً قرروا فيه: «أنها إنسان خلق لخدمة الرجل فقط»[٢٣].

ونتيجة لذلك أهدرت كل حقوق المرأة المسيحية الإنسانية والاجتماعية، والاقتصادية، والقانونية، فانحطت مكانتها كما هي الحال التي عليها المرأة اليهودية، يقول ول ديورانت : «وفي القضاء على حد قول أحد الأحبار : تعدل شهادة مائة امرأة شهادة رجل واحد، وكانت حقوق النساء الملكية محددة في التلمود بالقدر الذي كانت به في إنجلترا في القرن الثامن عشر، فمكاسبهن وما يؤول إليهن من ملك لهن حق لأزواجهن، ومكان المرأة هو البيت»[٢٤].

وأما في العصور الوسطى، فقد كان وضع المرأة ومكانتها امتداداً لما كانت عليه المرأة في العصور القديمة، ومن شواهد ذلك كانت النساء في أوربا جاهلات متأخرات، يقفن عقبة في سبيل العلم والنور، وكان يقال لهن : «يجب أن يخجلن من أنهن نساء، وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات»[٢٥]، يقول إيتين دينيه المفكر الفرنسي : «إن تعليم المرأة يساير كل المسايرة جميع تعاليم الدين، وقد كان عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضاً على المسلمات، وكانت ثقافتهن حينئذاك أرفع من ثقافة الأوربيات دون جدال»[٢٦]. ولقد جعلت المسيحية الغربية تعليم المرأة منكراً، يقول بولس المقدس، قائد المسيحيين الأول : «دعوا المرأة تتعلم السكوت والهدوء أمام كل الصعاب والمتاعب التي تتحملها، ولكنني لا أتمكن من أن أصمت أمام امرأة

تدرس أو تتسلط على زوجها؛ لأن أول من خلق كان آدم، ومن ثم خلقت حواء»[٢٧].

ولما قامت الثورة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر، وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة، فإنها لم تغير من وضع المرأة القانوني؛ فنص القانون المدني على أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضى وليها إن كانت غير متزوجة، وقد جاء النص على أن «القاصرين هم : الصبي، والمجنون، والمرأة»، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م، حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة، ولا تزال فيها بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة. وقد جعل القانون المدني الفرنسي (قانون نابليون) الصادر بعد الثورة الفرنسية سنة ١٨٠٤م الرجل منفرداً دون المرأة هو الذي يتصرف كيف يشاء فيما يخصه أو يخصها. ففي هذا القانون وفي المادة (٢١٧) منه : «إن المرأة المتزوجة حتى لو كان زوجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها، ولا أن ترهن، ولا أن تُملك بعوض أو بغير عوض، بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية»[٢٨]. وقد تضمن قانون نابليون بشكل مجمل ما مؤداه أن المرأة مخلوق قاصر مدى الحياة، إذ جرّدها من حق الشهادة، أو المقاضاة، أو التوقيع على عقود الإيجار، أو التعهد بأي التزام فني، أو ممارسة مهنة منفصلة، أو الحصول على أي وثيقة رسمية من دون موافقة زوجها. وإذا كانت تعمل فإن أجرها كان يعتبر ملكاً لزوجها، وقد ظل الزوج يتمتع بهذا الحق حتى عام ١٩٣٨م»[٢٩].

وأما عن وضعها الاجتماعي ففي سنة ١٥٠٠ ميلادية تشكل مجلس اجتماعي في بريطانيا خصيصاً لتعذيب المرأة، وابتدع هذا المجلس وسائل جديدة لتعذيبهن، وعلى هذا الأساس أحرق المسيحيون النساء وهن أحياء، وكثيراً ما كانت المرأة تُزف إلى زوجها عفو الساعة، وإلى رجل لم تره من قبل ذلك، لتسهيل المحالفات الحربية والمدد العسكري، أو لتسهيل جسدياً صفة من صفات الضياع، أي أنها كانت تُستغل لتسهيل المعاملات والاتفاقات، وليس لكونها آدمية ـ تشارك

من تتزوجه ـ ولها أي اعتبار أو أي رأي، بل كان لوليها أن يبيعها بصورة زواج وقتي[٣٠]، ولقد تقدم الزمن في الغرب من العصور المظلمة إلى عصور الفروسية إلى ما بعدها من طلائع العصر الحديث ولما تبرح المرأة في منزلة مسفة لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة في تلك الجاهلية، ففي سنة ١٧٩٠م، بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين؛ لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها[٣١].

وقد منعت المرأة عن مجرد إبداء رأيها ولو كانت ملكة، وذكر الأستاذ العقاد حادثة في ذلك حيث قال : «إن الملكة بلانشفلور ذهبت إلى قرينها الملك يبين تسأله معونة أهل اللورين فأصغى إليها ثم استشاط غضباً، ولطمها على أنفها بجمع يده فسقطت منها أربع قطرات من الدم، وصاحت تقول : «شكراً لله إن أرضاك هذا، فاعطني من يدك لطمة أخرى حين تشاء»، ولم تكن هذه الحادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيراً ما تتكرر كأنها صيغة محفوظة، وكأنما اللطمة بقبضة اليد، جزاء كل امرأة جسرت في عهد الفروسية، على أن تواجه زوجها بمشورة»[٣٢].

بعد هذا الاستعراض الموجز لأوضاع المرأة ومكانتها في شرائع الأمم يتضح جلياً أنه لم تكن تتمتع المرأة بأي حق سياسي، لأنها تعتبر ـ أصلاً ـ في تلك الشرائع لا قيمة لها إنسانياً، ومهدورة الكرامة الآدمية، ومحرومة من أبسط حقوقها الإنسانية وأعظمها شأناً وهو الحياة ، فضلاً عن حقوقها الأخرى المسلوبة منها من غير إرادتها. يقول روجيه جارودي : «إذا نحن قارنا قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة فإنها تسجل تقدماً لا مراء فيه ولا سيما بالنسبة لأثينا وروما حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة»[٣٣].

إن المرأة في شريعة الإسلام محل التقدير والاحترام من حيث هي الأم والأخت والبنت، يقول الدكتور صالح بن حميد : «ونصوص الإسلام صحيحة صريحة في بيان موقع المرأة وموضعها منذ أكثر من خمسة عشر قرناً حين كانت

الجاهليات تعم الأرض شرقاً وغرباً على نحو مظلم، وبخاصة في بخس المرأة حقها، بل وعدم الاعتراف بأي حق لها. فاليهودية والنصرانية معلوم ما فيهما، وهو غير مرضي من الجميع، لأن الحديث عن حقوق المرأة وحقيقتها ليس في الديانتين إجابة عنهما. أما الحضارة المعاصرة ففيها وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة ـــ باعتراف الكثير منهم ـ شرٌّ كثير غير موجود في الإسلام وما فيها من أمور مستحسنة فالإسلام لا يعارضها»[٣٤]، وعن امتهان المرأة في سوق الإعلان يتحدث الدكتور صالح بن حميد بنفس الفكر الذي تحدث به الأستاذ أحمد جمال سابقاً فيقول : «أية كرامة للمرأة وأي حق يحقق لها حين توضع صور الحسناوات في الدعاية والإعلان وفي كل ميدان ولا يروج عندهم إلا سوق الحسناء، فإذا استنفدت السنون جمالها وزينتها أهملت كأي آلة انتهى أجلها وبطل أداءها وهرمت بقدم وانتهت لظهور ماهو أحدث وأنفع، نقول ما هو نصيب قليلة الجمال في هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة والجدة العجوز؟ لا تُزار ولا توصل ولا يسأل عنها، وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد أو تأمين اجتماعي تأكل منه حتى تموت، ولا رحم ولا صداقة ولا ولي حميم. ولكن المرأة في الإسلام إذا تقدم بها السن زاد احترامها وعظم حقها، أي أنها أدت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها وأحفادها وأهلها والمجتمع»[٣٥]، ويمكن للقارىء الرجوع إلى موضوع حقوق المسنين في الإسلام في الباب الثاني من الموسوعة لمعرفة قواعد الإسلام الحقوقية والإنسانية التي فرضها الإسلام ليس للمسن المسلم بل حتى للمسن غير المسلم في ظل دولة الإسلام وشريعته وعلى الخصوص المرأة المسلمة المسنة الجدة والعمة والخالة.. إلخ. أما حقها في المال والملك والمسؤولية والثواب والعقاب الدنيوي والأخروي فيستوي فيه الرجال والنساء، وأما ما اختلف فيه الرجل والمرأة في بعض الأحكام، فأمر طبيعي متقرر في الشريعة الإسلامية.

ولما كانت تلك حقيقة المرأة في كثير من الدول من خلال النظرة الدينية

والنظرة المادية في حاضر الغرب، فإننا نجد في كثير من كتابات أعداء الإسلام الحاقدين، افتراءات وأقوال تصف الإسلام بأنه يغمط حقوق النساء ، وأن المرأة في ظل الشريعة الإسلامية لا حقوق لها ، وأنها لا تتمتع بالمزايا التي يتمتع بها الرجل، كل ذلك جاء في كتابات كثير من المفكرين المعادين للإسلام وقد يفهم ذلك من أهداف أولئك النفر الذين يسعون إلى تشويه صورة الإسلام ليصدوا الناس عن الحق، ولكن يستغرب الأمر عندما يمعن خيال الأدباء ويغرق في الباطل حين يدعي أن الإسلام ينكر وجود النساء في الجنة، وأنهن لا يدخلن الجنة، ويأتي رجوعنا إلى كتب الأدب لأن كثير من الغربيين يعتبرها مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين فضلاً عما يهدف إليه الأدباء من مدى الإمعان في الإساءة إلى المرأة المسلمة بأقوال يظن أنها الحق كما يقول إدوارد سعيد حيث : «أصبح الاستشراق مسألة متفق عليها بالإجماع بين جميع طبقات المفكرين والكتاب والأدباء صورة محددة وأفكار معينة وأحكام ثابتة هي في نظر كل مستشرق الصواب كل الصواب»[٣٦]، وعندما يتحدث إدوارد سعيد ويذكر الأدباء إنما يقصد أن ذلك ينطوي على منهجية وفكر وليس مجرد أدب خيال وهذا ما أكده بقوله : «لذا فإن كتاب روما نيسين أمثال بيرون وسكوت كانت النتيجة بالنسبة لهم أن ينظروا إلى الشرق الأدنى نظرة سياسية ونظرة إجبار وإخضاع وقهر»[٣٧]، هذه الأقوال ومثلها جعلتني في سابق الأيام أدقق النظر في ذلك فألفت كتابي : (صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي: دراسة تاريخية نقدية مقارنة) لأنتهي إلى أن أعمال الأدباء الإنجليز كانت تنطلق من الفكر والعقيدة وليس من الفن والأدب، وهذا الذي جعلني أسوق أمثلة لهذه الكتابات في هذا المكان عن نظرة المرأة في رؤى الأدب الانجليزي، وأول مثال لذلك مسرحية « ألمينة» **Almyna** للكتابة ماري مانلي **Mary Manely** التي ظهرت في عصر التجديد، وهي تصور أحد الخلفاء المسلمين وأنه ينكر وجود المرأة في الجنة، وأنها تكون في النار وتأكل من شجرة الزقوم[٣٨].

كما كتب أولفر جولد سمث **Oliver Goldsmith** رسالة أدبية في القرن الثامن عشر يتحدث فيها عن النساء في قارة آسيا، وعن المرأة في ظل الشريعة الإسلامية ، وأنهن ممتهنات لا يُنظر إليهن بعين الرحمة على أنهن من البشر لهن عواطف وأحاسيس ومشاعر، بل هن آلات من سقط المتاع خلقن للمتعة الجسدية، وأنهن لا يدخلن الجنة، ويقول الكاتب إن محمداً ﷺ أقر بعدم دخولهن الجنة[٣٩]، حاشاه أن يفعل أو يقول ذلك ﷺ فإنما هو مبلغ لوحي يوحى علمه شديد القوى.

وعن موضوع الزواج والمرأة وحقها في الإسلام ، نجد الشاعر الإنجليزي جيوفري تشوسر في أدب العصر الوسيط يتحدث في إحدى حكاياته المشهورة بعنوان : «حكاية المحامي أو رجل القانون»، عن قانونية الزواج من الملل وأصحاب الأديان الأخرى فيقول : « إن المرأة النصرانية لا يجوز لها أن تتزوج من غير مسيحي»[٤٠]، والكاتب بذلك يُعلي من شأن المسيحية ، ويحقر من شأن الإسلام، الذي لا يرعى للمرأة حقوقها. والحال ليس كما هو في شريعة محمد ﷺ، التي تجيز زواج المسلم من أهل الكتاب غير المشركات. وهذه الفكرة أكدها صموئيل جنسون في القرن الثامن عشر في مسرحيته : (إيرين)، تلك الفتاة اليونانية التي تدين بالنصرانية، التي أراد السلطان العثماني الزواج منها فامتنعت، لأنه ـ أي السلطان ـ لا يدين بدينها، ولأنها كانت ترى أن دينها أفضل من دين الإسلام الذي يبيح للمسلم أن يتزوج من نساء من غير دينه[٤١] ، والصواب أن الإسلام لا يبيح للمرأة المسلمة أن تتزوج من غير المسلم كما سنوضحه لاحقاً ، إلا أن الإسلام أباح الزواج من الكتابيات غير المشركات، كما أن الإسلام لم يشرع الزواج من الوثنيات ونساء أهل الأديان الوضعية، أليس الحق أحق أن يتبع؟ أدعوى هؤلاء الأدباء حق ، أم الحق هو الذي في كتاب الله العزيز وهدى رسوله الأمين ﷺ؟.

وعن المرأة في الإسلام ومسألة الاختلاط ظهرت بعض الصور الأدبية في العصر النورماندي، التي تصور الإسلام بأنه دين متشدد ، يحرِّم اختلاط المرأة بالرجال،

أما علم هؤلاء أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح؟ ألم ير هؤلاء نتائج الاختلاط في الغرب ، وما ترتب عن ذلك من ابتذال المرأة وعُرِيِّها وتعريضها لوسائل الدعاية، وإلى مجلات وأفلام الجنس ، وإخراجها للعمل في دور البغاء وحانات الخمر، وماذا بعد ذلك؟ أيريدون إخراج المرأة المسلمة لتلقي عذاب الله وغضبه؟

والأدب الإنجليزي لم تخلُ فيه كتابات الأدباء عن مسألة هي شغل الغرب الشاغل ، تلكم هي مسألة تعدد الزوجات في الإسلام ، ففي العصر الوسيط نجد رانولف هدجن في كتابه الذي بعنوان: **PolyChronicon** يتحدث فيه عن إباحة الإسلام لتعدد الزوجات في شريعته، وأن هذا يدل على شهوانية الإنسان المسلم، ويتقدم ذلك اعتماد تلك الشريعة على إثارة الجنس والخوض في الملذات ، وأن ذلك أساس الحياة عند المسلم[٤٢] ، وفي عصر التجديد كتب الشاعر الإنجليزي إدموند ولار **Edmund Waller** قصيدة بعنوان: «من الحب» **Of Love** ، أكد فيها على أن المسلمين يعبدون المرأة لشهواتهم ، ولا أدلَّ على ذلك من إباحة الشريعة الإسلامية لتعدد الزوجات[٤٣] . ولقد كتب اللورد بايرون في العصر الرومانسي قصيدة بعنوان: «حصار كورنث» إحدى مدن اليونان ، وقد تعرض في ذلك إلى وعود الإسلام للمسلمين بكثرة الحور العين في الحياة الآخرة ، وأباح لهم تعدد الزوجات في الحياة الدنيا، وهذا يدل على الشهوة الجنسية العارمة لدى المسلم، والتي شجعتها الشريعة الإسلامية[٤٤]. هكذا ينكر هؤلاء الكتاب فكرة تعدد الزوجات، وما علموا أن أفكارهم حادت وانحرفت عن تعدد الزوجات المشروع في أديانهم إلى تعدد العشيقات غير المشروع، يقول الكونت هنري دي كاستري : «إن الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين إن لم نقل أن ما نسبوه إليه من ذلك غير صحيح. فما تعدد الزوجات هو الذي ولَّد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها، على أنني لست أدري إن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة؛ السوّاح

الذين يرون أمراً فرديًا فيجعلونه عاماً من غير تثبت فيه ولولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم، والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه لأن النبي ﷺ بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة»[٤٥].

لقد كانت المرأة العربية قبل الإسلام مبعث فخر للرجل، ومناط عزة وشرف، فهي ربة البيت المكرمة، والأم المطاعة، وكان بعض العرب ينتسب إلى أمه استطالة بشرف نسبها، واعتزازاً بخؤولته، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **« أنا ابن العواتك من سليم»**[٤٦] ، والإسلام وتاريخه العريض يحمل في طياته صورًا مشرقة ونماذج مشرقة للنساء المسلمات وجهادهن في سبيل الدعوة الإسلامية، فكن أديبات وطبيبات وخطيبات وفقيهات، إن المرأة في الإسلام ليست من البهائم، وليست من سقط المتاع، وحقوقها ليست مهضومة، بل منظمة عقيدة وفقهاً عبادة وشريعة، أنقذ الإسلام المرأة وأنصفها من الظلم والغبن والاحتقار، إن تلك الحرية الموهومة والمساواة المزعومة اللتين أعطيتا للمرأة الحديثة كان سببها تخلي الرجل عنها، وإهماله لحقها عليه، وموت ضميره تجاه حرمة عرضها وشرفها وعفافها، فالآباء في كثير من دول غربية وشرقية ومن سار على نهجهم يتركون بناتهم بعد النشأة الأولى ليبحثن عن العمل والزوج في حرية تامة، وفي المقابل يهمل الأبناء والبنات آباءهم وأمهاتهم للملاجئ والشوارع عندما يكبرون لا يسألون عنهم ولا ينفقون عليهم، فكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل، وإلى هذا الواقع المرير عن وضع المرأة الغربية يتحدث المفكري الفرنسي تشارلز دينيك ويعزو السبب إلى : «تفكك الأسرة وانعدام رعاية الآباء»[٤٧] ، والأزواج يحرصون على أن تعمل زوجاتهم خارج المنازل، دون اهتمام برعاية الأسرة وتربية الأطفال، بل ربما قعد الرجل في البيت للقيام بمهمة الزوجة وهي تعمل حرة طليقة، والصلة الأسرية بذوي الأرحام والأقرباء تضعف وتنقطع، فالإخوان والأعمام والأقارب لا يسألون عن أخواتهم

وقريباتهم، ماذا يأكلن وماذا يشربن، وكيف يسكنّ، وماذا يعملن؟ فلهن مطلق الحرية ـ منذ أن يبلغن الرشد ـ في العمل والتصرف كيف شئن لضمان معيشتهن ومستقبلهن، كل ذلك مما ذكرناه من نواقص ونواقض الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة ، وأشرنا إلى المخاطر التي تحف بالإنسان وحقوقه جراء هذا التنظيم الاجتماعي العقيم. وهذا عكس ما تنتهجه شريعة الإسلام، وخلاف ما تعوده المسلمون من إحساس بالمسؤولية التربوية والأخلاقية والمعيشية نحو نسائهم، بنات كنّ أم أخوات أو زوجات أم أمهات، لهم حق القربى وصلة الرحم، أفلا نعجب إذن لقول الجهلاء بشريعة الإسلام، أو قول الحاقدين عليه بأن يقولوا بإن القرآن كان قليل الرأفة بالنساء ، أو أن النساء المسلمات يعشن كالإماء أو كالبهائم؟ ونقتبس هنا ما أخبره الاستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله عن المرأة وحياتها في المجتمع غير المسلم فهو يقول : «إن المرأة في كثير من الدول في الحضارة الحديثة لم تمنح بعض التأهيل الشخصي تكريماً لها، ولا اعترافاً بحقوقها الإنسانية، وإنما كان ذلك لأغراض سياسية وأهواء حزبية، ونزوات شهوانية، لكي تتجه بصوتها إلى هذا الحزب أو ذاك، لقد حصلت المرأة الغربية على حق الانتخاب، وعلى حق دخول البرلمان، ولكنها في بعض دول العالم لا تستطيع أن تفتح حساباً باسمها في البنك إلا إذا حصلت على موافقة كتابية من زوجها. والمرأة في بعض الدول المتقدمة لا تحصل على مثل مرتب الرجل، وعدد الناخبات في بعض برلمانات الدول أكثر من عدد الناخبين، لكن عدد النائبات أقل من عدد النواب، لأن المرأة لا تثق في بنات جنسها من ناحية ، وهي من ناحية أخرى إنما فتحت لها أبواب التوظيف والانتخاب لمصلحة الرجل سياسياً وتجارياً أيضاً، ويستطرد الأستاذ أحمد جمال رحمه الله قائلاً: «رأينا المرأة في أوروبا تكنس الشوارع، وتحمل أمتعة الركاب في المطارات، ورأيناها عاملة ناصبة في المزارع والمصانع والمناجم فاقدة لأنوثتها باذلة لكرامتها، كما رأيناها عارضة لجسدها سلعة

ومتعة للرجل، أو (لصاقة ذباب) في الإعلانات التجارية على الصحف والجدر والأعمدة، حتى طالبت (حركة تحرير المرأة) في بريطانيا ليلة تتويج ملكة للجمال هناك بإحراق (هذا العالم الذي صنعه الرجل)، وحملت أكثر من ثلاثمائة امرأة لافتات كتب عليها: «نحتج على سوق اللحم البشري» وعبارة «لقد أصبحت المرأة لعبة للرجل»[٤٨].

لقد ضاعت الحقوق الاجتماعية والنفسية للمرأة غير المسلمة في الغرب وفي دول شرقية أخرى، حتى لقد حذر علماء الاجتماع في الغرب من ارتفاع عدد الغانيات، ونبَّه الدكتور تشارلز دينيك إلى خطر ظاهرة انحلال الفتيات وإدمانهن على المخدرات هو : «نتيجة لتفكك الأسرة، وانعدام رعاية الآباء»[٤٩].

تقول الباحثة الإيطالية لورافيشا فاغليري : «إذا كانت المرأة قد بلغت من وجهة النظر الاجتماعية في أوروبا، مكانة رفيعة، فإن مركزها شرعياً على الأقل، كان حتى سنوات قليلة جداً ولا يزال في بعض البلدان، أقل استقلالاً من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي، إن المرأة المسلمة إلى جانب تمتعها بحق الوراثة مثل أخوتها، ولو بنسبة أصغر، وبحقها في أن لا تزف إلى أحد إلا بموافقتها الحرة، وفي أن لا يسيء زوجها معاملتها، وتتمتع أيضاً بحق الحصول على مهر من الزوج، وبحق اعالته إياها، وتتمتع بأكمل الحرية إذا كانت مؤهلة لذلك شرعياً في إدارة ممتلكاتها الشخصية»[٥٠].

لقد فقدت المرأة شرفها وعفتها في ظل المناداة الزائفة بحقوق المرأة في كثير من دول العالم، حيث كشف معهد أبحاث أمريكي في لوس أنجلوس عن فضيحة أخلاقية مفزعة، وهي أن عشرة آلاف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين، وأن عدد البنات اللاتي ولدن ولادات غير شرعية في الولايات المتحدة الأمريكية يزيد على (٣٠٠) ثلاثمائة ألف فتاة، وأنه في مدرسة ثانوية

واحدة في مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على (٢٥٠) مئتين وخمسون طالبة، وما يحدث في أمريكا يحدث مثله في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا [٥١]، وللقارئ أن يرجع إلى ملاحق هذه الموسوعة ليطّلع على الإحصاءات والأرقام المفزعة عن هذا الواقع مما تصدره وزارات الداخلية ووزارات العدل في دول العالم، وما تصدره هيئة الأمم المتحدة أيضاً لمن يريد الاطلاع على الإحصاءات التي كانت حصيلة الدراسة الميدانية التي أوردها مؤلفي كتاب : (عندما أخبرت أمريكا بالحقيقة)، وهو ما فصلنا القول عنه في ملاحق هذه الموسوعة.

ولعلنا لا نكون مغالين إذا أوردنا عدداً من الشواهد التي قال بها المنصفون من غير دول الإسلام لنؤكد على واقع حقوق المرأة في الإسلام، يقول المفكر الفرنسي إيتين دينيه : «هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟ وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا ــ دع عنك الأفراد ــ الذين كان لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام، إن تعداد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم، ولذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه، إن نظرية التوحيد في الزوجة [التي] تأخذ بها المسيحية ظاهراً تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين. إن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية»[٥٢]. ويقول الباحث الغربي سنكس ، ونظرته السليمة لفضل الإسلام على المرأة: « إن الإسلام قد أوجب حماية المرأة بالاعتراف لها بحقوقها التي كانت غير معترف بها إلى

عهد محمد، ولا سيما بتهذيب وتعديل عادة تعدد الزوجات»[٥٣] ، وهذا الكونت دي كاستري يدلي بدلوه عن المرأة في الإسلام ، ويتحدث كلاماً طويلاً في هذا الشأن، ويردُّ على شبهات المغرضين ومفترياتهم، حيث قال: «ومن الخطأ الفاضح والغلو القادح قولهم: إن عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تُباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها، لأن ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية، من شأنها إعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية، فلها أن تشترط على زوجها عدم التزوج بغيرها، وعدم التسري، وأن لا يغيب أياماً كثيرة عن بيته بدون إذنها، وأن لا يؤذيها ولا يسبها، وأن لا يكلفها بأعمال البيت الشاقة، وهكذا فإن لم يف بهذه الشروط، جاز للمرأة أن تطلب الطلاق، فإن لم ترده لنفسها،جاز لها أن تطلب منه على يد القاضي أن يطلق ضرتها أو أن يعتق الجارية كي يبطل حق التَّسري بها، ولم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن، بل حرَّم ما كان معروفاً عند العرب قبله من الزواج لزمنٍ محدود أي زواج المتعة»[٥٤] .

ويتحدث موسيو جاك ريفيل المفكر الفرنسي الذي عاش طويلاً في الجزائر قولاً منصفاً عن المرأة في الإسلام: «على أننا لو رجعنا إلى زمن النبي محمد ﷺ، ومكان ظهوره، لما وجدنا عملاً يفيد النساء أكثر مما أتاه عليه السلام، فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة، ففي القرآن آيات ساميات في حقوقهن، وما يجب لهن على الرجال، فمنها ما يختص بتحريم ما لا يجوز من اللذائذ معهن، ومنها ما يوصي بالحشمة والوقار في استعمال ما أباحه الله، في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾[٥٥] ، ويحث الإسلام على أهمية عفة القلب والجوارح بحفظ الأعين والفروج عن المحرمات، قال جل وعلا: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٥٦]، كما امتدح الله

تعالى الحافظين لفروجهم عن الزنا، قال عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٥٧]، وقد أخذ الصحابة عن النبي كثيراً من الأوامر المشددة التي تحرم الاسترسال مع الشهوات ، وعدم التمسك بقواعد العصمة والكمال. فلا يجوز للخاطب أن يرى من مخطوبته غير وجهها ويديها، ومن الجُناح على المسلم أن يرفع بصره إلى امرأة لايريد أن يتزوجها ، جاء في الإنجيل: (من نظر إلى امرأة نظر شهوة فقد زنا بقلبه)، ويقول المسلمون: (لزنا العين أشد حرمة من زنا الصدور). هذه أوامر عاصمة تسوي بين الجريمة وبين مجرم الشهوة ، وتحرم النظر إلى زوجة الغير ، وليس من يعيها إلا المسلمون؛ لأن نساءهم محتجبات عن العيون»[٥٨]، ويقول الباحث البريطاني ف. لايتنر: «قصاص الزنا في الإسلام يتساوى فيه الرجل والمرأة، وليس في الإسلام محلات للفاجرات ولا قانون يبيح إنتشار المومسات، ومسامرات المسلمين العمومية خير مما هي في أوربا. ومسامرات شبان المسلمين في المدارس خير وأطهر من مسامرات شبابنا. والحق أولى أن يقال فإن كثيراً من كلام الشبان الإنجليز لو قاله أحد في بلاد المسلمين لنال قائله القصاص الصارم، وللمرأة المسلمة مركز شرعي خير من مركز المرأة الإنجليزية بكثير»[٥٩].

ولا يقف المفكر الفرنسي جاك ريفيل عند حد توضيح الجانب التوجيهي وتقرير الحكم الشرعي في القرآن الكريم عن المرأة بل يصف الواقع الإسلامي للإنسان المسلم والإنسان المسيحي مقارناً ذلك بما هو موجود في الشريعتين وأيهما أكثر التزاماً بعبادة الرب وتعاليمه فيقول: «يرى القارئ من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام النبي ﷺ بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التعشق بين المسلمين، لكي يجعل الأزواج والآباء في راحة ونعيم، وربما كان الإنجيل أكثر تدقيقاً في التشديد، ولكنه لا يعمل به إلا قوم خصهم الله بمواهب الكمال وهم قليلون، أما البقية من الأمة، فليس لهم أخلاق أطهر من أخلاق الأمم المتدينة بغير النصرانية، لكن شريعة

القرآن جاءت ملطفة وجمهور المسلمين يلاحظها، ويجري على مقتضاها ، وقد مارسوا النظافة والاعتناء بالصحة، عملاً بما جاء في القرآن أو في الحديث، فكانت لهم من ذلك أخلاق مخصوصة بهم، وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار، وجاء هذا مغايراً لآداب الأمم المتمدنة اليوم على خط مستقيم التي تدعي حقوق الإنسان وحفظ حقوق المرأة ، والإسلام يزيل ما عساه أن يقال عن ميل الشرقيين إلى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض، والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والأرض، فالمسلم ينجرح نظره ويستحي من مرآى الإعلانات التي ينشرها الغربيون، ومن راقصاتهم في لباس كأنهن به عاريات، ومن حفلات الرقص حيث النساء خالعات العذار، كاشفات المناسب، ومن جميع ملاهينا التي لا تمتاز عن بعضها إلا برقة ما يستر وجه الحياء»[٦٠].

ويستطرد المسيو جاك رفيل ليصف الواقع المشاهد عن حياة الإنسان المسلم ومعرفته للمعاني الحقوقية بأبعادها المختلفة ولأصحابها، فلكل ذي حق حق، يعرفون حقوق الله وحقوق الرسل وحقوق الإنسان براً وفاجراً مما رآه في دولة الجزائر المسلمة فيقول : «وقد رأيت ذات يوم في سراي الوزير المصطفى بالجزائر قوماً من الشيوخ رؤساء القبائل أجابوا الدعوة ليزدان المكان بوجودهم، وهم من أقاصي الصحراء، حيث صفاء الأخلاق وطهارة العادات، عليهم البرانس، وعلائم العزة والوقار تعلو جباههم، ينظرون إلى المسيحيات رائحات غاديات وهن عاريات، ومن حفلات الرقص حيث النساء خالعات العذار، كاشفات المناسب، ومن جميع ملاهينا التي لا تمتاز عن بعضها إلا برقة ما يستر وجه الحياء. وقد رأيت ذات يوم الصدور تحت ذراع من يتقدم لهن من الرجال ، وقلوبهم ملأى من الاحتقار ، ومن كان من بين أولئك الشيوخ غير متمسك تماماً بجميع العوائد القومية، كانوا يتخيلون بأنهم لا يشاهدون حالة اعتادها الإفرنج لترويح النفس، بل ينظرون إلى مجتمع انطلقت فيه الشهوات، ورفع فيه برقع الحياء عن الوجوه، فاستباح كل واحد ما أراد ،كما

يقع ذلك مرة في كل سنة عند الزنوج أو بعض قبائل الهمج، حيث يأتي الأسافل من الأمة مثل تلك الفعال، ولكنهم عند وقوع نظرهم بين الجمع على رؤساء المصالح الذين هم أصحاب الإمرة عليهم، كانوا يرجعون من وهمهم، ويعلمون أن ما يشاهدون من المناظر حقيقة اعتاد أولئك القوم عليها، هنالك يجول بخواطرهم تعاليم شرعهم، ويَعْظُم شأن القرآن في قلوبهم عندما تقترن آدابه بالمشهد المخجل الذي هم فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، وقلما تستبيح امرأة غير شابة أن تكون بلباس أقل من ذلك حشمة وكمالاً، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾»[٦١]. إن بعض دول الفساد تسعى لإثارة الشبهات في أذهان أبناء المسلمين حول المرأة زواجاً وطلاقاً وحجاباً وتعدد زوجات فهم يرون أن :

الحجاب : رجعية وظلام!.

والطلاق : ظلم واستبداد!.

وتعدد الزوجات : حيوانية في الرجل، وهوان للمرأة!.

وقعود المرأة في البيت في نظرهم هو : تعطيل لطاقة بشرية جبارة عن العمل.

هذا ما يريده أعداء الإسلام للمرأة، ولكن ما يريده الإسلام من المرأة غير ذلك، فهو يريد من المرأة أن تبقى كما هي في فطرتها الأصلية زهرة موقوفة على تعطير بيتها، وجوهرة مصونة في يد زوجها، وينبوعاً فياضاً بالعطف والحنان،

والتربية السليمة لأولادها، تقول الباحثة الألمانية زيغريد هونكة : «إن احترام العرب لعالم النساء واهتمامهم به ليظهران بوضوح عندما نرى أنهم خصوه بفيض من العطور وبأنواع الزينة، التي وإن لم تكن غير مجهولة قبلهم، إلا أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية، وبالأساليب الفائقة في تحضيرها، كذلك فإن العثنون الذي كان يزين الوجوه الحليقة، منذ حملات الصليبيين، على طريقة النبي محمد ﷺ قد أصبح نموذجاً يقلده الرجال»[٦٢]، وما أبلغ تشبيه رسول الله ﷺ للنساء : (بالقوارير) ودعوته الخيرة للرفق بهن في قولته المشهورة: **(يا أنجشة.. رفقاً بالقوارير)**[٦٣]، يقول الأستاذ أحمد محمد جمال يرحمه الله : « أجل رفقاً بالقوارير، دعوة للرجال بالعطف عليهن واللطف بهن، ورفقاً بالقوارير تنبيهاً للرجل إلى الحرص عليهن من الكسر والخدش، كسراً للعرض الغالي، وخدش الخلق الكريم. ورفقاً بالقوارير، زجراً للآباء والأزواج عن إهمالهن دون تربية فاضلة، وتأديب حسن. ورفقاً بالقوارير نهياً عن إلقائهن في تيارات الفتنة، ومجتمعات الرجال، وهن ذوات الأفئدة الهواء، المغرورات بالثناء، وما أبلغ التنبيه القرآني إلى طبيعة المرأة في قوله عز وجل: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴿٣٢﴾ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ**﴾. فذاك حق مبين»[٦٤].

هذا ما يريده الإسلام للمرأة، يريدها ذات دين، ويريدها صالحة الخلق، لتكون خير متاع الدنيا لزوجها، وأفضل معلمة لولدها، وأوفى راعية لشرف بيتها، إن الإسلام يأمر الرجال من أجل صيانة النساء من عبثهن بغض أبصارهم عنهن في قوله عز وجل: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[٦٥]، ولنتأمل قول القرآن: ﴿**ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ**﴾، فإنه يرتب نتيجة على مقدمة، فالنظر المكرر إلى المرأة الأجنبية باعث للغريزة، ومثير للشهوة، وهذه المقدمة، نتيجتها الطبيعية اشتغال القلب بالحب الحرام، ثم الاهتمام والسعي إلى اللقاء الأثيم، وأكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى بقوله: **«النظرة**

سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[٦٦]، وقوله ﷺ: **«لا تتبع النظرة النظرة، فإن الأولى لك والثانية عليك»**[٦٧]، وإذ كان مجرد النظر إلى المرأة الذي يبدو بسيطاً وسهلاً لأول وهلة يؤدي إذا تكرر إلى الفسوق والفجور، فكيف بسفور المرأة وجهاً وجسداً بين أيدي الرجال والاختلاط معهم في كل مكان، والواقع المشاهد يؤكد لنا وقوع عليَّة القوم وكبراءهم في الإثم فتظهر الفضائح الجنسية، وإذا كان هذا حال الكبار فماذا هو رد فعل الصغار؟

وفي العصر الحاضر من تاريخ الأمة الإسلامية يكثر الكلام عن تحرير المرأة في بلاد المسلمين، وتعدد المحاولات المسمومة لتبديل خلق الله فيها وخفض مكانها الذي رفعها الإسلام إليه: أماً موقرة محترمة، أو أختاً عزيزة كريمة، أو بنتاً حبيبة أثيرة، أو زوجة شريكة مصطفاة، وفي هذا الزمن يتعاون أعداء الإسلام من الاستعمار والاستشراق والصهيونية والصليبية ودعاة العولمة على أن يجعلوا من المرأة في دنيانا القضية التي ليس لها فصل، والمشكلة التي ليس لها حل، والداء الذي ليس له دواء. إن الحديث عن المرأة المسلمة كما ينبغي أن تكون علماً وسلوكاً ضرورة ملحة، وبخاصة في هذه الفترة التي يستمر فيها الدس الذي يمكر به أعداؤها المتسمون زوراً وبهتانًا بأنصارها، وهم في واقع الأمر عاملون لإفساد فطرتها، وتعطيل وظيفتها، وتشتيت أسرتها، وبالتالي انحدار المجتمع الإسلامي كله إلى مكان سحيق من الانحلال والضلال، لأن المرأة إذا صلحت صلحت الأسرة ثم صلح المجتمع، والعكس صحيح أيضاً، وما أصدق حافظ إبراهيم قوله في ديوانه :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وبعد أن خلصنا من العرض التاريخي المقارن للمبادىء الحقوقية المتعلقة بالمرأة في الحضارة الإسلامية والحضارة الأخرى ، وبينا المعنى والمفهوم الشرعي والقانوني للمساواة والاختلاف في العموم ، وقبل مزيد بيان لحقوق المرأة المسلمة لزم أن نقدم تعريفاً مختصراً عن المرأة التي نتحدث عنها وعن حقوقها في الإسلام .

المرأة في الإسلام : المعنى والمفهوم

١ـ المرأة الأم

إنها الأم سارة زوجة نبي الله إبراهيم وأم إسحاق عليهما الصلاة والسلام، إنها الأم هاجر زوجة إبراهيم وأم إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، إنها راشيل زوجة نبي الله يعقوب وأم يوسف عليهما الصلاة والسلام، إنها مريم البتول أم المسيح عيسى عليهما الصلاة والسلام، إنها آمنة بنت وهب العفة العفيفة أم سيد الخلق وخاتم الأنبياء والرسل سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله ﷺ ، إنهن أمهات الأنبياء اللائي أطعن الله فيما بلغ رسله به من الحق وآمنوا وصدقوا. ولكنهن لسنا الأمهات العاصيات اللائي جحدن الحق وأنكرنه حال امرأتي نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام، لقد امتدح القرآن الكريم النساء الصالحات المؤمنات وذم النساء الفاسدات المفسدات، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٦٨].

إن المرأة التي وصفها القرآن الكريم بالصالحة منهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن زوجات النبي الأمي محمد ﷺ ونساء أهل بيته، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران واسيه بنت مزاحم امرأة فرعون»**[٦٩] ، وكل من كانت برة تقية صالحة قانتة .

٢ ـ المرأة الزوجة

الزوجة من لزوم حياة الرجل كما أن الزوج هو من لزوم حياة المرأة، ولهذا كما أثبت الإسلام حقيقة المرأة الأم فهو يوضح أهمية المرأة الزوجة بدءً بحياة آدم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٧٠] ، ففي الآية دلالة على عدل الله في حق الرجل والمرأة بعضهم ببعض، ودلالة على أن المرأة وهي حواء التي دخلت الجنة ابتداءً برحمة الله وقدرته تدخلها يوم الميعاد، وفي هذا قاطع الدلالة على من ينكر حق المرأة في الثواب بالجنة والنعيم المقيم فيها ، مما يذكره أعداء الإسلام من المفكرين والكتاب ، وقد ذكرنا أمثلة لذلك فيما تقدم.

وفي تعريف المرأة الأم أشرنا إلى المرأة باعتبارها الأم أو الزوجة فضرب الله مثل الزوجات الكافرات الخائنات له ولرسله بما عصوا مثل امرأتي نوح ولوط ومن خان الله ورسله، وضرب الله مثالاً للزوجات الصالحات وخص بالذكر آسيا امرأة فرعون المرأة المؤمنة برب العالمين وبرسالة أنبيائه موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام برغم كفر زوجها فرعون الذي طغى وبغى في الأرض واستضعف أهلها وأنكر نبوة موسى وهارون وتطاول على الله، إنها الزوجة الصاحة التي لم تغرها الدنيا وحطامها وحياة القصور والملذات، إنها الزوجة التي دخل في قلبها الإيمان فعرفت حلاوته رغم تعذيب فرعون لها وايذاه إياها حتى فارقت الحياة ورجت ربها أن يبني لها بيتاً في الجنة وينجيها من بطش فرعون وكبرياءه وجبروته، وهذا من كمال خُلُقها وإيمانها كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[٧١] . ولا ننسى المرأة الزوج امرأة العزيز في قصة

يوسف عليه السلام، التي صَدَقَت ربها بصدق قولها بأنها لا تبرئ نفسها تلك النفس الأمارة بالسوء، النفس التي تشتهي وتتمنى وتتحدث، فاعترفت بما راودت به يوسف عليه الصلاة والسلام ثم إنها اعترفت بالحق وطلبت غفران الله ومغفرته، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧٢].

إن المرأة الزوجة منهن زوجات الرسول محمد ﷺ الآتي ذكرهم الله بعظيم الفضل وأنهن لسن كسائر الزوجات، فهن أمهات المؤمنين ذكراً وأنثى، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٧٣]، وبسبب فضلهن وعظم مكانتهن عند الله وعند رسوله وأنهن أمهات المؤمنين جعلهن القدوة للمرأة المسلمة الصالحة التي تبتغي وجه الله والدار الآخرة ولا تفعل الفاحشة أو تأذن بها أو ترضاها، وقد طهرهن الله من كل رجس وسوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٧٤].

ما جاء في الآيات السابقة جملة آداب وأحكام ومقررات شرعية لصالح المرأة

لمبادىء حقوقية متبادلة في واجبات وحقوق أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، والنساء المسلمات في جميع الأعصار والأمصار تبع لهن في التمسك بتلك الآداب والقيام بتلك الأحكام والواجبات من القعود في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة، وألا يخرجن في زينة وسفور وتبرج كما كانت تفعل المرأة في الجاهلية الغابرة وما تفعله في الجاهلية المعاصرة، كل ذلك مما فرض الله على إمائه ليس على وجه التضييق وانتهاك الحقوق بل على وجه التطهير وحفظ العفة والشرف، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها»**[٧٥].

ولمكانة النبي محمد ﷺ عند مولاه وربه وعند خلقه من الملائكة والمؤمنين فإن الله سبحانه وتعالى نبه زوجات الرسول ﷺ إلى تلك المكانة وحذر من غضبه وسخطه وأوضح ما يجب عليهن من رعايتها والحفاظ عليها فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٧٦]، إن من زوجات النبي ﷺ خديجة بنت خويلد أم أولاده رضي الله عنهم جميعاً، وأن من زوجاته مارية القبطية رضي الله عنها من نصارى مصر قبل أن تسلم آمنت به وصدقته فتزوجها النبي محمد ﷺ، وإن من زوجاته صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها من بنات يهود المدينة آمنت برسول الله ﷺ وصدقته فتزوجها، وإن من زوجاته جويرية بنت الحارث بن المصطلق، من يهود المدينة فك أسرها فآمنت به وصدقته وتزوجها، إنهن الزوجات المثاليات ونموذج المرأة الصالحة خصوصاً من كن منهن مؤمنات برسالة سماوية سابقة فإن الله سيؤتها أجرها مرتين لإيمانها بنبي دينها الأول ولإيمانها بخاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ.

٣ ـ المرأة الأخت

هي المرأة التي يعتز العرب والمسلمون ومن هم على عادتهم بها، فهي محل اعتزاز وفخر، ولهذا عندما جاءت مريم عليها الصلاة والسلام تحمل ابنها الوليد إلى قومها وقد علموا أنه لا زوج لها، وقد علم من أمرها ما علم، خاطبها قومها مما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٧٧]، هكذا كانت مريم الأخت الكريمة العفيفة، لم تجلب لأخيها بل لأهلها أي عار وهكذا لابد أن تكون المرأة الأخت طاهرة مؤمنة عفيفة شريفة، ولابد أن تكون الأخت رحيمة بإخوتها، وذاك مثل ضربه الله جل جلاله في القرآن الكريم عن أخت موسى الذي حفظه الله من شر فرعون وسطوه في قتل أولاد بني إسرائيل الذكور واستحياء نساءهم وبناتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ

وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧٨)، فالأخت الكريمة مثل مريم أخت هارون أم المسيح عليه السلام منعتها طهارتها وعفتها فضلاً عن دينها وعفافها أن تجلب السوء لأهلها، وأن تكون أخت سوء وامرأة عار وشنار.

٤ ـ المرأة الابنة

هي شرف الإنسان وعرضه ومهجته وقطعة منه إن أصلحها صلحت وإن أفسدها فسدت، والآباء والأمهات مكونات المجتمع فإن صلحوا وأصلحوا صلح الناس جميعاً، إن أخت موسى في الآيات السابقات أدت وظيفتين أساسيتين، أولهما وظيفة الأخت الكريمة التي سعت إلى إنقاذ حياة أخيها من الموت وسطوة فرعون وقذفته في اليم بأمر الله ثم أنزل الله في نفس زوجة فرعون من الرحمة وأشارت على الطاغية بأن لا يقتله وليتخذوه منفعة أو ولداً، وثانيهما أنه بسبب ما حرم الله على موسى قبول ثدي أي مرضعة فجاءت تلك الأخت الحنون الناصحة إذ أرشدت آل فرعون إلى أهل بيت يحضنونه ويرضعونه ويحسنون إليه فدلتهم على أمه التي أصبح فؤادها فارغًا من شدة خوفها على ابنها، قال ابن كثير ـ يرحمه الله تعالى ـ في شأن أخت موسى: «فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه قالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه»، قال ابن عباس: فلما قالت ذلك أخذوها وشكُّوا في أمرها وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبة في سرور الملك ورجاء منفعته، فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به على أمه فأطعمته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسيا أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت : إن

لي بعلاً وأولاداً لا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله خوفها أمنًا في عز وجاه ورزق ودار» [٧٩]، ولهذا جاء في الحديث قوله ﷺ : **«مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها»** [٨٠] ، لقد قامت أخت هارون بدورها الأخوي تجاه أخيها، وهي امرأة تعرف عواطف النساء نحو أبنائهن، كما قامت بدورها كابنة في البر بأمها بتسليتها ابتداءً في تقصي أثر أخيها، ثم انتهاءً ببر والدتها في إرشاد قوم فرعون إلى الأم الرؤوم المكلوم قلبها ليعود إليها ابنها الذي خشيت على هلاكه من فرعون، هذه هي الابنة الصالحة التي تعرف حق والديها وبرهما، إنها الابنة الأخت للمرسلين والابنة الأخت لأم الأنبياء هارن وموسى عليها الصلاة والسلام.

وابنة شعيب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهي زوجة موسى عليه السلام قامت بدورها ابنة في حق والدها وبره، فعندما رأت وهي تسقي مع أختها قوة موسى عليه السلام وأمانته وعلو شرفه وسمو خلقه وكريم شهامته، أشارت على أبيها أن يستأجره، فأعطت تلك المرأة عنوان الابنة البارة لأبيها وصدق الزوجة لزوجها حفاظاً على طهرها وشرفها وعفتها، قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ**

ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٨١].
لقد كانت بنت شعيب (وهي إحدى ابنتيه ليا وصوفوريا أو صفوريا وشرفا) ، صادقة الحدس والظن في أمانة موسى عندما أشارت على أبيها بأن يتخذ موسى عاملاً لديه، فسألها عن ذلك فقالت له: «إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اختلف علي الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي»[٨٢]، ذكر ابن كثير قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن أمرس الناس ثلاثة وذكر منهم صاحبة موسى عليه الصلاة والسلام[٨٣]، أي زوجته إبنة شعيب عليهم الصلاة والسلام.

هذه جملة لنماذج المرأة الصالحة وحقيقتها في الشريعة الإسلامية، وقد جعل القرآن الكريم قواعد عامة يهتدي بها الإنسان لمعرفة أهله من الزوجات والأبناء والأهل الصديق من العدو، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٨٤]، فالآية تبين أن الزوج أو الزوجة أو الابن أو الابنة منهم من يكون فتنة وعداوة بما يجروه من الشرك والكفر والأعراض والمعصية والفسق عن أحكام الله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٨٥]، قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٨٦]، وجاء في الحديث: «كان رسول الله يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ليحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : **«صدق الله ورسوله، إنما أموالكم وأولادكم فتنة، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»**[٨٧].

إذن فحقوق الإنسان لا تتقدم على حقوق الله سواء كان الإنسان أب أم أمًا أم زوجة أم زوجًا أم ابنًا أم ابنة، ولكن ليُعْطِ كل ذي حق حقه مادام أنه مطيع لله

ولرسوله فهذه قاعدة الإسلام في التعامل مع الناس لا ضرر ولا ضرار.

ما تقدم تمهيد عن مكانة المرأة في الحضارات عامة وفي حضارة الإسلام والشريعة الإسلامية خاصة حددنا من خلاله بعض خصائص المرأة وواجباتها وأوجه الاختلاف والمساواة بين المرأة والرجل، ثم أوضحنا تعريف المرأة في المنظور الإسلامي مما جاء ذكره في القرآن الكريم من نساء (أمهات وبنات وأخوات وزوجات في عهود الأنبياء والمرسلين السابقين للنبي محمد ﷺ) ونساء (زوجات وبنات ..إلخ) في عهد النبي ﷺ. وبهذا نكون قد مهدنا السبيل للحديث عن الأسس الإسلامية التي تقوم عليها المبادئ العامة لحقوق المرأة في الإسلام فيما سيأتي من فصول هذا الباب وبالله التوفيق .